

متلازمة الثورة والإرهاب في أفلام الألفية الثالثة في السينما الجزائرية

The syndrome of revolution and terrorism in the third millennium films in Algerian cinema

العابد عبد العزيز

ellabed.abdelaziz@gmail.com، كلية الآداب والفنون جامعة الجلفة،

تاريخ النشر: 2022/12/30

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ الاستلام: 2022/11/07

ملخص:

يتحدث المقال عن الإنتاج السينمائي الجزائري فيما بعد الألفينيات. ذلك أنها الفترة التي تلت العشرية السوداء بما لها من تأثيرات سياسية ومجتمعية ألفت بكلالها على السينما الجزائرية بالسلب طبعاً. لذلك نجد أن أغلب أفلام الألفية الجديدة قد عالجت موضوعات الإرهاب والهجرة السرية. دون إغفال موضوع الثورة ومقارعة الاستعمار. هذا الأخير الذي لا تمر مرحلة من تاريخ الجزائر دون أن تعرف إنتاجات ضخمة تحاكي هذا الموضوع. هذا دون أن نغفل دور المرأة الجزائرية ومعاناتها سواء أثناء الثورة أو في فترة الإرهاب. هذا الأمر الذي كان مضمناً في الفيلمين المختارين كنموذجين وهما فيلم رشيدة. الذي يحكي معاناة المرأة إبان العشرية الحمراء وما جرت به من ويلات على الشعب الجزائري وفيلم لالة فاطمة نسومر الذي يروي قصة فترة ناصعة البياض بطلتها امرأة من حرائر الجزائر ضف إلى هذا فالنموذجين مختارين لما لهما من الواقعية في التصوير والأداء وجمالية الإخراج.

كلمات مفتاحية: السينما الجزائرية، الألفية الثالثة، الإرهاب، الثورة، الهجرة السرية، العشرية السوداء.

Abstract:

The article talks about the Algerian film production in the post-thousands. It was the period after the Black Decade, with its political and societal influences, which, of course, negated Algerian cinema. Therefore, most of the new millennium's films have dealt with terrorism and clandestine migration. Without losing sight of the topic of revolution and colonialism. The latter, which does not pass a stage in Algeria's history without knowing huge productions that mimic the subject. This is without losing sight of Algerian women's role and suffering both during the revolution and during the period of terrorism. This is what implied in the two films chosen as models, Rashida. Which tells the suffering of a woman during the red decadal and his dragon from the scourge of the Algerian people and the film of Lallah Fatima Nsomer, which tells the story of a bright period of whiteness, whose hero is a woman from the Liberator of Algeria.

Keywords: Algerian cinema, the third millennium, The Terrorism, Revolution, Secret immigration, Black Decade.

مقدمة:

السينما هي الفن السابع من حيث تاريخ ظهورها ترتيبا بعد الفنون الستة الأخرى السابقة عليها في الزمن (وهي العمارة والنحت والرسم والأدب والموسيقى والأداء الرقص) رغم تأخرها في الظهور فهي الفن الأول من حيث سرعة التطور الجماهيرية والإنتشار، هي الفن الذي إستحوذ على إهتمام الجماهير.

فمنذ ظهور الصور المتحركة في أواخر القرن التاسع عشر وقبل أن يصبح الفيلم ناطقا ثم ملونا لم يتطلب هذا الإختراع الجديد سوى عدة سنوات حتى يبلغ أفاق العالم إنطلاقا من مهده ومنشئه وصولا إلى أمريكا والصين والهند حتى إفريقيا خصوصا مصر... وطوال القرن العشرين الذي بلغت فيه السينما عالميتها كانت دور السينما من معالم المدن بل وأنها رمز من رموز تطورها الثقافي بل وفي أحيائين كثيرة أعتبرت من نقاط الجذب السياحي الكبرى التي نافست المتاحف والمكتبات فهي مكان تجمع المثقفين الأول وأعتبرت كذلك حينها، فالسينما بالملخص عرفت بين الثقافات وبين البشر في أقاصي الدنيا.

هذا عن السينما العالمية أما عن السينما الجزائرية فكان تطورها تبعا للتطور الحاصل في العالم فهي لم تشد عنه لهذا إرتأينا توجيه نظرة على السينما الجزائرية وأهمية الدور الذي لعبته للتعريف بهوية وثقافة الشعب الجزائري وبطولاته وثانيها بإعتبارها وسيلة تاريخية لمحطات تاريخية كبرى مرت بهذه الأمة تركت جراحا لم تندمل بعد. أولاها مرحلة الثورة الجزائرية وثانيها مرحلة التسعينات التي سميت العشرية السوداء وكذا معالجتها لقضايا إجتماعية حساسة لدى المجتمع الجزائري ومنها قضية (الحرق) أو الهجرة الغير شرعية.

قبل الولوج الألفية الثالثة ودراسة التطورات الحاصلة في لسينما الألفية الثالثة لا بد لنا أولا التعرّيج على سينما التسعينات ذلك أنه كان لها تأثير كبير عليها (العشرية ككل) سواء إقتصاديا وإجتماعيا وسياسيا تأثير مباشر وغير مباشر، فكما أشرنا سالفًا فقد أثرت العشرية السوداء أيما تأثير على السينما الجزائرية من حيث إغلاق أغلب دور العرض وكذا هجرة أغلب الفنانين (ممثلين ومخرجين) إلى الخارج وكذا التأثير الإقتصادي مع توقف دعم الدولة للمؤسسات السينمائية والذي كان آخر إهتماماتها في تلك المرحلة.

1. سينما التسعينات:

"لقد ضربت الأزمة السينما مع مطلع التسعينات... فالفن السابع واصل طريقه للانحدار في ظل جد سياسي وإقتصادي صعب مع وضع إجتماعي مكهرب فقد شهدت بداية التسعينات إخراج مجموعة من الأفلام لم يعرف بعضها الطريق للنور سبب ذلك أن معظم القاعات أغلقت لغياب الجماهير في حين تحولت الأخرى إلى مطاعم

وقاعات حفلات... والبعض الآخر تحول إلى عرض أشرطة الفيديو بدون ترخيص" (شنتوف، السينما الجزائرية بين الامس و اليوم، 2012)

يمكن القول إنها من أصعب المراحل التي مرت على السينما الجزائرية منذ الاستقلال، وما الركود السينمائي إلا نتاج لما سمي العشرية السوداء التي أنت على الأخضر واليابس هذا الركود سببه إما الاغتيالات التي طالت المثقفين أو سبب هروب السينمائيين للخارج ومن تبقى عانى من نهب وشح التمويل بما أن الدولة تخلت عن تمويل هذا القطاع كما أن هذه المرحلة شهدت حل الكثير من المراكز السينمائية. "من ذلك الحل المركزي الوطني للأحداث الفيلمية (ANEF) المؤسسة الوطنية للإنتاج السمعي البصري (FNBA)، والمركز الجزائري للفن والصناعة السينماتوغرافية CAAIS ضف إلى ذلك تسريح العالمين فيها" (Lequeret, 1988-2001)

ميزتان رئيسيتان في سينما التسعينات أولاهما هجرة أغلب صناعها هربا من همجية الإرهاب ثانيهما أن أغلب أعمالها جاءت لتعالج وتحاكي هاته الظاهرة إما رمزيا أو بصورة مباشرة ومن هذه الأفلام وهو الأقرب إلى الطابع الكوميدي في المعالجة فيلم "باب الواد سيتي".

«إذ يمكن اعتبار هذا الفيلم الذي أخرجه مرزاق علواش سنة 1993 آخر فيلم تم تصويره في العاصمة قبل أن يصبح من المستحيل تقريبا التصوير في الجزائر ففيلم "باب الواد سيتي" شكل شهادة صادقة على مرحلة خطيرة عاشتها البلاد... لم تتوقف المآسي عند قتل الفنانين بل تعدت ذلك إلى تعجير قاعات السينما من بينها قاعة "الهقار" سنة 1995» (شنتوف، السينما الجزائرية بين الامس و اليوم، 2012)

. وفيلم "باب الواد سيتي" يستعرض لنا صراعا طريفا في ظاهره ومليئا بالمآسي في باطنه بين شاب من باب الواد وبين الجماعة المتطرفة ليضعه حظه السيء في مواجهة معها والفيلم يستعرض بشيء من الطرافة واقع الحياة اليومية لسكان حي شعبي من أحياء الجزائر بمختلف ميولاتهم الفكرية والسياسية إبان تلك المرحلة الدامية. تنطلق قصته من حادثة طريفة سرعان ما تأخذ أبعادا خطيرة تهز الحق بأكمله أحد شخصيات الفيلم يشتغل في مخبز الحي وهو بحكم عمله يشتغل ليلا وينام نهارا إذ يزججه باستمرار شبان الجماعات المتطرفة الذين يبنون دروسهم الدينية طيلة ساعات النهار عبر مكبر صوت ضخم في أعلى البناية المجاورة لسكنه» ذات يوم يصعد وهو في حالة غضب شديد إلى البناية وينترع مكبر الصوت ويرمي به في البحر دون أن يدرك حجم ما فعله، ومن هنا تبدأ مأساته حيث يطارده شبان الجماعات المتطرفة ويقررون تأديبه ويزداد غضبهم عليه حين يجدونه منفردا بالأخت الصغرى لقائد الجماعات المتطرفة « (الكسان، 1999)

رغم هذا فسينما التسعينات لم تكن كلها أو جلها أفلام "إرهاب" بل كان للكوميديا حضور وإن كان محتشما، فقد كان على ندرته طاغيا على الكل من حيث الإقبال الجماهيري يعزي ذلك إلى حاجة الناس للضحك إن صح القول، وأن تحدثنا عن الكوميديا في تلك الفترة فعنوانها فيلم "كرنفال في دشرة" سنة 1994 للمخرج "محمد أوقاسي" وسبب جماهيرية الفيلم أنه جمع ترسانة من ألمع الممثلين الكوميديين في تلك الفترة ينزعهم "عثمان عريوات"

وثانيهما أنه وضع الأصبع على الجرح بمعالجته حالة الفساد المستشري في الإدارات الجزائرية، بطريقة معالجة كوميدية والفيلم الكوميدي عادة هو ما يلقي أكبر الإقبال لدى الجماهير.

1 السينما الجزائرية في الألفية الثالثة:

في الألفية الثالثة (بداية الألف الثالث الميلادي) أي بعد سنة الألفين قد عرفت السينما الجزائرية بعض العمل الإبداعي الذي بث فيها جرعة الأوكسجين دفعته لمواصلة المسيرة فقد أنتجت أفلام في هذه الفترة تنوعت بين إجتماعية وثورية لكن الملاحظ والسمة الأبرز أن أغلب أفلامها جاءت معالجة لموضوع الإرهاب وأثار العشرية السوداء على المجتمع الجزائري والملاحظ أيضا أن أغلب المخرجين الشباب ممن حملوا لواء الإخراج في الأفلام الجزائرية هم من مزدوجي الجنسية هذا الأمر الأخير كان دافعه هجرة أغلب الفنانين إلى الخارج وكذا الغياب الرهيب لمراكز التكوين السينمائي (فترة التسعينات أتت على معظمها) والدولة رفعت اليد عن الباقي.

لكن الأمر الذي أدى إلى بعث الحركة الفيلمية الرائدة من جديد في السينما الجزائرية هو أن الألفية الجديدة عرفت تغيرا سياسيا عرفته الجزائر تميز آنذاك بما عرف بالمصالحة الوطنية وإنهاء ما سمي (العشرية السوداء) التي أتت على الأخضر واليابس في كل المجالات بما في ذلك الإنتاج السينمائي، رغم ما سبق لم تعرف السينما تلك الطغوة التي كانت متوقعة ليس الكم (هو المقصود بل الكيف) إلا فيما ندر من الأفلام التي لاقت صيتا وعرفت بعض النجاح، خاصة في المحافل الدولية إن حصلت على جوائز قيمة في معظم المهرجانات ونذكر هنا بالخصوص فيلم (خارجون عن القانون) لمخرجه رشيد بوشارب إنتاج 2010م هذا الفيلم أراد بوشارب تكملة لفيلمه الأول بلديون (الألماني) 2006م بعد النجاح الذي عرفه الأول كذلك.

ومما لا يفوتنا ذكره عن فلم بوشارب «إنه اختار من خلال هذين الفيلمين (بلديون وخارجون عن القانون) المواضيع التي تثير نقاشا حادا في الأوساط الثقافية الفرنسية والجزائرية والقضايا التاريخية العالقة بين البلدين ومنها قضية الجنود المغاربة والأفارقة الذين ساهموا في تحرير فرنسا من الغزو الألماني في الفيلم الأول...وفي الثاني نضال أعضاء جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة ولكن في الضفة الأخرى» (احمد)

ذلك لأن فيلم خارجون عن القانون عالج موضوع الثورة التحريرية ولكن بطريقة مبتكرة فيها القدر الكبير من الحكمة فهو يصور ببراعة في مشاهدته الأولى ما جرى في الأراضي الجزائرية من أحداث مميزة خاصة أحداث 08 ماي 1945 وقد صورت المشاهد بموهبة فنية مقتدرة هذا رغم مأساويتها وقد استعان مع ذلك بمشاهد من الأرشف لزيادة التأكيد الدرامي.

والجدير بالذكر أن الإنتاجات الضخمة من حيث التمويل والدعم قد وجهت في شكلها الأكبر للأفلام التاريخية خاصة تلك التي تمجد الثورة التحريرية والفيلم الأقوى من حيث ضخامة الإنتاج يجدر التنويه إليه هو فيلم "مصطفى بن بولعيد" هذا الفيلم الذي كان متميزا في طرحه لموضوع الثورة إلى أبعد الحدود خاصة من حيث طريقة المعالجة التي تمثلت في اقتفاء أثر شخصية ثورية مشهورة وطرحها للمشاهد بطريقة فنية توثيقية ومتخيلة في آن واحد (يصنف هذا الفيلم ضمن الأفلام التاريخية لأنه يعتمد في سياقه على أحداث تاريخية مرت بها الجزائر قبل

اندلاع حرب التحرير وأثنائها لينتهي الفيلم باستشهاد بطله "مصطفى بن بولعيد" إثر انفجار قنبلة مدسوسة في جهاز إرسال عثر عليه الجنود الجزائريون (أحمد بغداد، 2011)

الملاحظ في أفلام الألفية الثالثة أنها عالجت أغلب المواضيع التي تمس واقع المجتمع ماضيه وحاضره سواء كانت هذه المواضيع سياسية أو إجتماعية رغم الزخم الفيلمي والكثرة في الإنتاجات إلا أن ما ندر منها حقق الرواج الجماهيري خاصة الأفلام ذات الإنتاج المشترك جزائري فرنسي هذا الأمر يرجع لسببين رئيسيين إيديولوجي ومالي وهو السبب الأهم فالفيلم مهما بلغت جودته الدرامية فلا يمكن له تحقيق النجاح دونما إعمادات مالية كافية ولهذا السبب توقفت إنتاجات كبرى لهذا السبب وأحسن مثال هو فيلم "الأمير عبد القادر" الذي بقي يراوح مكانه لأكثر من عقدين من الزمن.

وهناك بعض الإنتاجات الأخرى لمخرجين هواة ساهمت هذه الأفلام في الوفرة الفلمية المنتجة خاصة في العقدين الأولين من الألفية أغلب مخرجي هذه الأفلام من مخرجي المهجر.

"نذكر رشيد بن حاج من إيطاليا فيلم "الخبز الحافي" سنة 2005 وبعده "عصور الجزائر" سنة 2010 ومن فرنسا المخرج "عكاشة بونينة" يخرج فيلمه "موريتوري" سنة 2007 مقتبس من عدة روايات لياسمين خضرا ومنها الرواية التي تحمل نفس العنوان... والمخرج "مهدي شريف" يعالج علاقة المهاجرين الجزائريين بوطنهم الأم من خلال فيلمه "ابنة كلتوم" سنة 2002 ليعود إلى ذكريات الطفولة ويستحضر الأحداث الأخيرة التي سبقت الإعلان عن إستقبال الجزائر فكان فيلمه "خراتيش غولواز" (أحمد)

عالجت هذه المرحلة مواضيع كثيرة بزخم كبير خاصة مواضيع الثورة، الهجرة إلى الخارج... وهذا الموضوع بالذات يلامس نفس أغلب المخرجين ذلك أن أغلبهم مهاجرين إما قبل أو بعد فترة التسعينات لذا لامتس هذا الموضوع عاطفتهم بالدرجة الأولى خاصة أن مرحلة التسعينات شهدت هجرة غير مسبقة لأغلب المخرجين وهذا الأمر ألقى بضلاله على أفلام المرحلة التي تلتها أي الألفينات

الإرهاب في السينما الجزائرية:

قدمت سينما الألفية الثالثة عدة أفلام حاولت إلقاء وتسليط الضوء على ظاهرة الإرهاب أو ماسمي بالعشرية السوداء والتي هي الماضي القريب والذي كان له بالغ التأثير على إنتاجاتها في التسعينات معالجة محاولة جزأة الظاهرة بخصوصيتها الجزائرية بعيدا عن المنحنى المعالي الذي ذهبت إليه السينما العالمية التي ألصقت التهمة للإسلام، رغم هذا فأغلب هذه الأفلام لم تعالج الظاهرة إيديولوجيا لم تحاكي بداياتها الأولى في الجزائر ولم تطرح أسباب الظاهرة "فالرابط بين الإرهاب وأسبابها لم يكن واضحا في معظم تلك الأفلام لأن القيمة الحقيقية لتلك المحاولات السينمائية في الإسهام في مواجهة الإرهاب تكمن في مدى مصداقيتها في مواجهة الظاهرة وتصوير أبعادها من خلال إظهار الأسباب والدوافع والعوامل المساعدة على انتشارها" (كريمة)

فأفلام الإرهاب يقصد بها الأفلام التي عالجت ظاهرة الإرهاب وهذا أمر طبيعي في هذه المرحلة التي تلت مرحلة "الجمر والدموع" ونخص بالذكر من هذه الأفلام فيلم "العالم الآخر" و"التائب" لمرزاق علواش وفيلم "رشيدة"

"يقدم مرزاق علواش على تشريح ظاهرة الإرهاب بفيلمه العالم الآخر 2001 من نفس الجراة والإصرار يعالج هذه الظاهرة في فيلم التائب 2012 ليرصد في هذا الفيلم معاناة أحد الإرهابيين التائبين وهو إبحار في عالم خصب حخته السياسية ولكنه موجود بالفعل وله تأثير على مسار تطور المجتمع الجزائري" (احمد)

إن نمط أفلام الإرهاب كان نتائج تطورات مرحلية حدثت في الجزائر (مرحلة التسعينات وما أنجز عنها من مآسي) كان لزاما على السينما معالجته من خلال وجهة نظر سينمائية بطريقة فنية كما لا يمكننا بأي حال من الأحوال إغفال انعكاس أحداث 11 سبتمبر على السينما العالمية عموما والتي مست منظومتها كليا إذ صارت لهذه الأفلام أي أفلام الإرهاب حصة الأسد من الإنتاج السينمائي بل أنها استحوذت في بداية الألفية على شباك التذاكر العالمي.

. فيلم العالم الآخر/الإرهاب في السينما الجزائري:

هذا الفيلم يصور أبشع السنوات التي مرت على الجزائر فترة دموية حصدت الأرواح حصدا يحكي الفيلم عن فتاة إسمها "ياسمينه" مغتربة تصل الجزائر بحثا عن خطيبها "رشيد" المفقود لتعلم فيما بعد أنه وقع في كمين إرهابي لتقع في خضم بحثها هي الأخرى ضحية عملية إختطاف

. في هذا الفيلم نلمس الكثير من اللوحات الفنية المعبرة عن مآسي وأحزان.

فيلم العالم الآخر يعطي لوحة فنية مصورا فترة من فترات المرحلة الدموية عبر قصة "ياسمينه" الجزائرية المغتربة التي تصل إلى الجزائر بحثا عن خطيبها رشيد المختفي يقودها البحث إلى الثكنة العسكرية التي نقل إليها "رشيد" فور نزوله الجزائر بسبب عدم تأديته الخدمة الوطنية وهناك تعرف أن خطيبها وقع ضحية كمين إرهابي ومع مواصلة بحثها تقع هي الأخرى ضحية إختطاف من طرف الإرهابيين مع مجموعة أشخاص تعرضوا للقتل ما عداها لأنها أعتبرت غنيمة حرب.

"تقتاد الفتاة إلى معقل الإرهابيين ليتعاطف معها شاب من العناصر المسلحة لأنها أعجبت به ويريدها لنفسه فيقرر إنقاذها قبل تنفيذ الإغتصاب والقتل فيهرب بها قاطعا الغابات الكثيفة إلى أن يتمكنوا". (كريمة)

. فيلم رشيدة:

"بعد عملية الإنفراج التي تلت الفترة السوداء برز خط جديد في السينما الجزائرية من حيث تناول المواضيع المعاصرة المرتكزة على مواكبة متغيرات الوقت الراهن حيث حرص كبار السينمائيين على إفتقاء صيغة العصرنة في كل فيلم تلا فترة التسعينات كما ظهر جيل جديد (جيل الشباب) الذي تميزت أعماله بالجراة في طرح موضوع الإرهاب من دون أي خوف بالإضافة إلى جملة من المواضيع الأخرى..." (زراري، 2011)

فيلم رشيدة يعالج موضوعين رهينين (في ذكرى واحدة) فقد عالج موضوع العنف ضد المرأة الذي تعرضت له سنوات الإرهاب فقد نالت نصيبها منه.



يبدأ الفيلم بمشهد فتاة تدعى رشيدة تعيش حياة بسيطة في حي شعبي في العاصمة مع والدتها تزاوّل عملها في مدرسة ابتدائية وفي أحد الأيام تتجه إلى مدرستها في شارع مزدحم بالمارة في أحد أحياء العاصمة ليعترض طريقها مجموعة من الشباب ينتمون إلى الجماعات المسحة ليطلبوا منها وضع قنبلة في المدرسة التي تعمل بها فترفض وتصر على موقفها الرافض

ليطلق عليها أحدهم النار مع ذلك يتم إنقاذها لتخرج من المستشفى خائفة تترقب ينتابها إحساس أنها مراقبة طوال الوقت لذا تقرر مغادرة العاصمة إلى الريف لتكون في مأمن...تستعيد وظيفتها كمدرسة في مدرسة القرية وتستعيد حياتها في القرية



" ولكن في تلك القرية يلاحقها الإرهابيون أيضا ثم تبلغ الأحداث ذروتها حينما تقوم مجموعة إرهابية بإرتكاب مجزرة حيث يتحول عرس إحدى الفتيات في القرية والتي تزوجت غصبا عنها إلى مذبح للقرية بأكملها وتتجو رشيدة بأعجوبة إلا أن رشيدة تستعيد شجاعتها وتظهر وسط الخراب والدمار تسير ببطء تضع سماعات "والكمان" وتخرج بزيها المعتاد ذاهبة إلى المدرسة وسط مخلفات

الجريمة النكراء في إشارة إلى (إعادة الأمل) نافذة تبقى مفتوحة رغم جرائم المسلحين ويبدأ الأطفال بالتوافد تباعا ثم تبدأ رشيدة درسها أمة في غد أفضل لا يركع أمام الضغوطات الشاذة التي حصدت أرواح الكثيرين " (كريمة) | إن مضمون الفيلم يحمل رسالة إيديولوجية تدعو إلى تغيير صورة المرأة وتحسين أوضاعها بعد معاناة جيل كامل من النساء اللواتي تعرضنا لوحشية وهمجية الإرهاب سنوات التسعينات خاصة الشريحة اللاتي تعرضن لعملية إختطاف وضرورة التكفل بهم.

رغم ما وقع فيه الفيلم من هبطات كخطابه المشفر المناادي بتحرير المرأة من خلال تصويره بطلّة الفيلم كإمرأة متحررة من قيود الدين والأعراف المجتمعية فهي إمرأة ترفض إرتداء الحجاب يبين ذلك من خلال ردها على معلمة سألتها عن عدم إرتدائها إياه ((وعلاش ماتديريش الحجاب)) لتجيبها قائلة: "نحاهولي الطبيب" - (د39) في نبرة متعالية فيها الكثير من الإستهزاء.

هذا المطب الذي وقعت فيه المخرجة وقع فيه الكثير ممن واجهوا الإرهاب في التسعينيات إذ بدلا عن مواجهته بإعتباره شذوذا عن الدين الإسلامي وإعتبروا أن أساسه الدين لذلك حاربوا كل ما يمت للدين بصلة.

"مع هذا تمكنت مخرجة الفيلم من التطرق إلى بعض تفاصيل العنف الذي ينساق وراءه الكثر من دون أي إيديولوجية أو مبرر عقلائي " (قدور، 2005)

قد عالج الفيلم قضية المرأة من خلال شخصية رشيدة البطلة كما تعرض أيضا إلى حادثة ثانوية في الفيلم لكنها تصب في نفس سياق الفيلم " المرأة والإرهاب" وهي قضية إختطاف فتاة صغيرة في السن من قبل الإرهابيين وإغتصابها لترجع إلى قريتها أين يتبرأ منها أبوها فتأويها أختها وفي مشهد مؤثر نرى الفتاة وهي تحاول عبثا غسل عارها في الحمام جراء فقدانها شرفها وحملها لطفل بريء جراءه.

في مشهد آخر من الفيلم والذي يعكس مظاهر سلبية ضد المرأة هذا فضلا عن تعرضها للإرهاب هو مشهد العروس التي تزف غصبا عنها إلى عريس فرضه عليها أبوها رغم أن الشخص الذي تحبه قد تقدم إليها مرات كثيرة لتقوم مجموعة مسلحة في الأخير باقتحام العرس لتحوّله إلى مأتم قتلًا وبطشا واختطافا. هذه القضية مرتبطة بالقصة الأولى لتتوالى متاعب البطلة رشيدة إذ تسمع أمير الجماعة وهي متوارية وراء الأشجار تحمل طفلا رضيعا يطلب من جماعته البحث عن المعلمة الجديدة. إذ لاحقها الإرهاب في كل مكان ذهبت إليه ذلك ما يعطي رسالة للمتلقي أن الإرهاب الأعمى قد غطى كل شبر في الجزائر.

الثورة في أفلام الألفية:

فيلم فاطمة نسومر:

إن أردنا تسليط الضوء على فيلم جزائري يحاكي البطولات الجزائرية في مقاومة المحتل لا نجد أفضل من فيلم "لالة فاطمة نسومر".



فيلم سينمائي جزائري من إخراج "بلقاسم حجاج" وهو فيلم ثوري بامتياز يحاكي حياة البطلة "نسومر" التي خلد التاريخ ذكراها والجزائري بالخصوص. فالبطلة مقاومة وقائدة متأثرة بتعاليم الدين الإسلامي داعية إلى الجهاد ومحاربة الكفار تحلت بأخلاق الكرماء والأكرمين ورثت أفكارها وثقافتها من أبيها الشيخ "سي أحمد" مقدم الزاوية الرحمانية التي كان لها الدور البارز في الدعوة للجهاد

والتعبئة وتجنيّد الشباب ضف إلى ذلك بعض الزوايا الأخرى مثل زاوية محمد ابن عبد الرحمان التي وكيّلها أحد المجاهدين والأبطال قريب "فاطمة نسومر" المدعو "الحاج عمر" (الثورة الجزائرية - ثورة نوفمبر 1954 معالمها الأساسية ، 2012) ، ودون إغفال البطل "الشريف بوبغلة" هذا الأخير الذي كان له دور بارز في النضال جنباً إلى جنب مع المجاهدة.

لعل الأمر البارز في نشأة هذه البطلة هو المنبت الطيب الذي جعلها ترقى إلى مصاف أبطال عظام مثل "المقراني" و"الحداد" و"بوعمامة" فأصالتها القروية من جبال جرجرة هذا المكان الذي أخرج أبطالاً أحراراً ضف إليه الأسرة الشريفة وتقاليد الزوايا وحفظ القرآن من الصغر وهذه الأمور كلها ساهمت في بلورت هذه الشخصية العظيمة. ((من الجوانب المهمة التي ركز عليها الفيلم أنه استطاع أن يبرز جانباً مهماً من جوانب الثورة الجزائرية الممتدة بين (1841 إلى 1857) أين بدأت حركة المقاومة التي حمل لوائها المجاهد "شريف مولاي" إذ كانت لديه مشاركات مع "بومعزة" ليتم إستشهادها فيما بعد لتكون بداية ثورات القبائل متعددة "قبيلة بن يعلى" وقبيلة "بني مليكش" لتحضن بعدها قرى ولاية بجاية المقاومة وتمتد إليها بقيادة "مولاي إبراهيم" (((المنور ، 2006) بالرجوع إلى الفيلم وطريقة السرد التي أخذت بعض الأبعاد الأسطورية والغرائبية لكنها لم تخل بسيرورة أحداث الفيلم.

يبدأ المخرج سرد أحداث " حياة البطلة " بداية بجعل زفافها وفرحة الإحتفال برقصات قبائلية تراثية لكن "فاطمة" غير فرحة لأنها رافضة لهذا الزواج ليطردها زوجها في الأخير ويأتي أخوها طاهر لإصطحبها إلى قرية "نسومر" وهنا تبدأ قصتها مع الزهد والعفاف وحدث بعض المعجزات على يدها إذ يعتقد السكان أنها تشفي المرضى وتساعد المحتاج موازاة مع مسيرة مقاومة شريف بوبغلة.

"إن نقل الحدث التاريخي في إطار سيناريو وفيلم سينمائي خاصة عندما يصاحب أحد الشخصيات المهمة في تاريخ الثورة الجزائرية يعد عملا صعبا جدا إذ يتطلب ذلك مراجعة دقيقة لعدد المصادر كما يحتاج إلى وقت طويل للتحري عن مختلف الحقائق" عطاء (2011).

تعرض الفيلم لشخصية "الشريف بوبغلة" كما صور أغلب معاركه وبطولاته في مواجهة المحتل إلى آخر معركة شاركتها فيها " فاطمة نسومر " إلى أن إستشهد، رغم هذا التعرض العرضي فقد بقت الشخصية الأساسية هي " فاطمة نسومر " التي صورها تلك الزاهدة التي تستغني عن الأكل والشرب لأيام ذات قدرات خارقة تصنع المعجزات من خلال تلك الأيقونة التي أعطاها لها جدها صاحب الطريقة الرحمانية رغم أن مشاركتها في الجهاد كانت مثلها مثل باقي النساء تدوي الجرحى وتقدم الطعام والشراب وهذا ديدن النساء الجزائريات أثناء الثورة وعليه فقد كانت بداية مشاركتها الفعلية في أرض الميدان في العشرين دقيقة الأخيرة حيث امتطت جوادها وسارعت إلى رفع همم الجنود وحاولت إقناع القائد «سي الجودي» لتغيير صفوفه الموالية للعدو



وتعاونته مع الجيش القبائلي، ولما إنطلقت شارة القتال بين الجيشين، انتقلت صورة الكاميرا إلى الشاعر «أزارا» ذلك الرجل الذي يعتقد سكان القبائل روحا بلا جسد تحرس جبال جرجرة وهو يهتف لهم ويتحرك هنا وهناك ويحذر قادة القبائل من العدو ومكائده حيث صاحبت الصورة مختلف المؤثرات الصوتية المتمثلة في ذلك الصراخ العميق بين شعاب

الجبيل وصليل السيوف والمبارزة وضربات الدروع المرتدة وحوافر الخيول وصهيلها وكل ما له علاقة بشدة الحرب وضراوتها، ولم تظهر المجاهدة « فاطمة نسومر » في كامل الفيلم على هيئة المقاتلة الحاملة للسيوف أو المسدسات ذات الفوهة الكبيرة أو ملطخة بالدماء أو صارخة صرخات القادة العظام لما يتحمسون في حال القتال أثناء الحروب، على عكس مقاومة « الشريف بوبغلة » التي تابعها الفيلم بكل تفاصيلها حتى استشهد وشارف الفيلم على الإنتهاء، ربما لو كان عنوان الفيلم «جهاد القبائل» أو « ثورة القبائل» لكان أفضل لأنه كشف لنا عن جهاد

في «فاطمة نسومر» و الشخصيات الثانوية مثل شخصية «فاطمة نسومر» هذا الفيلم من الناحية قادت أعراش القبائل للجهاد مغمورا من جوانب أخرى



شخصيتين عظيمتين تمثلتا «الشريف بوبغلة» وبعض سي الجودي وآخرين، أما فقد كان حظها ضئيلا في الميدانية لهذه المجاهدة التي والثورة، غير أنها حظها كان

وصورتها لنا الكاميرا شخصية أسطورية خرافية أكثر منها تلك المجاهدة التي زعزعت بعض كبار قادة فرنسا آنذاك، فكان دورها محدودا بين تأثيرها عن طريق الخطب بفضل حكمتها وفطنتها على أصحاب الزوايا من أجل القتال وبين خلوتها وزهدا واستقبالها للمرضى والزوار الذين يعتقدون أن الشفاء ينزل على يديها وأنها تحقق المعجزات بتلك القلادة الجالبة للحظ التي ورثتها عن جدها شيخ الزاوية، وكذلك علاقتها غير الموفقة «بالشريف بوبغلة» الذي طلبها للزواج غير أنها كانت لا تزال بعصمة زوجها الأول، وعلى الرغم من محاولة المخرج التوفيق بين هذا الحدث التاريخي والصناعة السينمائية فقد جادت كاميرا بلقاسم حجاج بجمالية الصورة ودقتها وتوظيف المؤثرات الموسيقية التي لازم كامل الفيلم بين الأشعار القبائلية الحماسية وموسيقى الملاحم الكبرى، وكذا تميز الاختيار المناسب لثورة القبائل بين الجبال والتلال فقد جرت مختلف الأحداث بين قرى واقعية ذات طابع قبائلي وأبنية قديمة توحى بتفاصيل تلك الفترة من الزمن، إضافة إلى الأداء المميز للشخصيات فلقد لعبت بعض الشخصيات الثانوية مثل شخصية «رابح» و «الطاهر» و «الخالة نينوش» دورا كبيرا في نقلنا إلى عمق البيئة القبائلية من خلال الأدوار الموكلة إليهم إضافة إلى ملابسهم والحوار الأمازيغي الذي تعتقد أنك بين ظهرانيهم وانت تشاهد الفيلم وتوظيف الكثير من العادات والتقاليد الشعبية المتوارثة عن أجدادهم، وما جذب الانتباه وأضفى متعة المشاهدة الفنية هو واقعية الفضاء الدرامي

خاتمة

لطالما عنيت السينما الجزائرية بتطلعات وهموم الجمهور الذي تشكل من مختلف أطياف الشعب، رغم بدايتها المتعسرة، فهي قد نهلت من السينما العالمية، وكذا من السينما الفرنسية الكولونيالية والتي كانت بصمتها ظاهرة جلية عليها، فهي قد أخذت ما هو إيجابي لتحقيق انطلاقها السريعة والنثرية، هذا رغم بدايتها المتأخرة كما أسلفنا سابقا .

فهي قد واكبت تطور المجتمع الجزائري شبرا شبرا، وواكبت كافة المحطات التاريخية، إذ أنها طرحت مواضيع الساعة، إذ أنها في شقها الأكبر قد عالجت موضوع الثورة الجزائرية ضد المستعمر، وهذا الموضوع هو ما أخذ حصة الأسد من الإنتاج السينمائي، هذا الموضوع الحاضر الدائم عبر تاريخ السينما الجزائرية، كما أنها عالجت مواضيع إجتماعية وسياسية راهنة، في أنها أفلام لا حصر لها، هذا ما فعله الشق الكوميدي، الذي برعت فيه أيما براعة

دون أن ننسى العشرية السوداء التي أثرت بالغ الأثر على السينما الجزائرية، الأمر الذي دفع بالمخرجين والسينمائيين إلى طرح موضوع الإرهاب ومعالجته سينمائيا فيما بعد الألفيات، معالجة لهاته الظاهرة من مختلف الجوانب، معالجة فنية بأسلوب فيه من النقد وتسليط الضوء عليها الشيء الكثير

أما الموضوع الذي أخذ نصيبا وافرا أيضا من الإنتاج السينمائي الجزائري، فهو موضوع-الهجرة السرية-هاته الظاهرة التي انتشرت سنوات التسعينات، وبعدها، حتى وقتنا الحالي، هذا الأمر له أسباب كثيرة لعل أهمها الإرهاب الذي أثر أيما تأثير على الشعب الجزائري.

5. قائمة المراجع :

• المؤلفات:

- (1) عده شنتوف - السينما الجزائرية بين الأمس واليوم - دار الغرب للنشر والتوزيع - دط - دت - ص114
- (2) Elizabeth Lequeret-(1988-2001)- le cinéma coule avec l'Etat,-Cahiers du cinéma- 2003, paris , France- p68
- (3) عدة شنتوف - السينما الجزائرية بين الأمس واليوم -م س - ص117.
- (4) جان ألكسان-الرواية العربية من الكتاب إلى الشاشة - دمشق المؤسسة العامة للسينما1999 ص207
- (5) بغداد أحمد - مخرجون وسينما جزائرية - دط - دت - ص154
- (6) بغداد أحمد - فضاءات السينما الجزائرية (نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر - مطبوعات ليجوند 20110 م - ص77
- (7) بغداد أحمد -مخرجون وسينما جزائرية - مرجع سابق ص 154
- (8) منصور كريمة - اتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة - مذكرة ص 152
- (9) بغداد أحمد مخرجون وسينما جزائرية م س ص 152
- (10) منصور كريمة - اتجاهات السينما..... مرجع سابق - ص 158
- (11) نجمة زرارى - الطرح الفيلمي لقضية العنف ضد المرأة في السينما الجزائرية المعاصرة - تحليل سمير لوجي - مذكرة ماجستير علوم الإعلام والاتصال - جامعة الجزائر - 2011 - ص122
- (12) منصور كريمة م س ص 170
- (13) الدقيقة 39- حوار مقتبس من فيلم
- (14) قدور عبد الله ثاني - سينمائية الصورة - مغامرة سينمائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم - دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران - 2005 - ص 383
- (15) الثورة الجزائرية -ثورة نوفمبر 1954 معالمها الأساسية - دار النعمان للطباعة والنشر - الجزائر 2012
- (16) العربي المنور - تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر - دار المعرفة الجزائر - 2006 م
- (17) عدي عطاء أثر توظيف الحدث التاريخي في صناعة السيناريو وصناعة الفيلم - دار البداية ناشرون - عمان - 2011